المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 07-11-2005 العـــدد : 9841
الصفحـات : 12 المسلسل : 74

ردا على غسان: لماذا القفز على الحقائق.. والتجني على الأكراد؟

شيرزاد عادل البرزنجي*

يبدو أن غسان الإمام ما عاد قادرا على لجم نزعاته القومجية المعادية لكل ما هو كردي، ففي مقاله «تعريب طالباني بلا استكراد العرب» المنشور في «الشرق الأوسط» 20 سبتمبر (أيلول) الماضي يضرب عرض الحائط كل أدوات وقواعد النقد والتفكيك المتعارف عليها لدى أي كاتب، وما لا يمكن تفهمه وتقبله إطلاقا هو «اهانة» الكاتب لشعب بأسره: ألا وهو الشعب الكردي عبر استخدام الفاظ وأوصاف تهكمية في نعت هذا الشعب ورموزه وقياداته المنتخبة (ليس وفق نسبة 99. 99 في المائة) ديموقراطيا من قبل شعبها سواء الرئيس مسعود البارزاني الذي انتخبه البرلمان الكردستاني رئيسا لإقليم كردستان أو جلال الطالباني الذي انتخبه البرلمان العراقي رئيسا للعراق، فالرئيسان البارزاني والطالباني إلى جانب غيرهما من رموز القيادة الكردية لاسيما الوزراء الأكراد في الحكومة الاتحادية في بغداد، برهنوا من خلال دورهم الريادي في مختلف أطوار عملية انبناء الديموقراطي في العراق الجديد، أنهم رجالات دولة بكل معنى الكلمة، وليس سرا أن الأكراد هم الآن قوة الدفع الديموقراطي الأساسية والأولى في العراق، وربما في المنطقة برمتها، فهم بفعل تجربتهم الديموقراطية القائمة يشكلون بدون مبالغة صمام الأمان الوحيد ربما الذي يحول دون تمدد وتمكن النزعات والمشاريع التكوصية اللاديموقراطية.

ولذلك أرتأينا تفنيد ادعاءات غسان الإمام. يقول الكاتب «لقد حقق أكراد العراق مكاسب» دستورية «سيادية بدعم من أميركا وفي ظل احتلالها هناك اليوم منطقة حكم ذاتي شبه مستقلة لها إدارتها وقضاؤها وقواتها المسلحة وقوانينها، ويحاولون مد حدودها، ولعل سيطرة الأكراد على كركوك سوف يقابلها التهديد بتهجير نحو مليون كردي من بغداد». فواقع الحال أن المكاسب التي حققها الشعب الكردي والتي بالكاد تمثل الحد الأدنى من حقوقه المشروعة هي بالدرجة الأولى بفضل تضحياته الجسام وكفاحه الدؤوب وعدالة قضيته ومشروعية حقوقه، وان كنا لا ننكر ولا نتنكر لدور المجتمع الدولي وفي مقدمه الولايات المتحدة الأميركية في حماية وترسيخ التجربة الديموقراطية في كردستان العراق منذ 1991، والتي نمت وتطورت في ظل التهديد الوجودي اليومي الذي كان يمثله النظام البعثي، وبرغم الواقع الجيوبوليتيكي الخانق وشريط الجوار المعادي للأكراد.

ويحتج الكاتب على مشاركة الأكراد في حكم العراق في الوقت الذي يحكمون فيه أنفسهم ذاتيا في كردستان، وهنا لا بأس من التذكير مجددا ببعض البديهيات التي أخال الكاتب يتجاهلها عمدا، إذ لا يعقل أنه يجهلها، فالفيدرالية هي تقاسم وتوزيع للسلطات بين الأقاليم والدولة الاتحادية، وهذه الأخيرة تعريفا تمثل وتتمثل فيها كل مكونات الاتحاد الفيدرالي من أقاليم (كما في الفيدرالية البلجيكية) أو ولايات (كما في الفيدرالية الأميركية) أو مقاطعات (كما في الفيدرالية الكندية) وهذه المكونات تشارك وتسهم بطبيعة الحال في مختلف هياكل ومؤسسات الدولة الاتحادية وسلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية ...الخ ما هو معلوم في هذا الشأن.

أما عن كركوك التي يعترض الكاتب على المطالبة الكردية باسترجاعها، فقد كانت طوال تاريخها جزءا لا يتجزأ من كردستان، بل أنها كانت مركز أو عاصمة ولاية شهرزور الكردية (كردستان الجنوبية) التي سميت لاحقا ولاية الموصل، والحال أن كل الإحصاءات السكانية التي جرت في كركوك قبل أن تطالها حملة التعريب البعثية الشرسة تشير إلى أن الأكراد هم غالبية سكانها، فالوثائق والمصادر العثمانية تؤكد أن ثلاثة ارباع سكان كركوك هم من الأكراد، أما المصادر البريطانية فتشير بحسب إحصاء 1921 إلى أن نسب السكان في كركوك هي كالآتي: 75 ألفا من الأكراد - 35 ألفا من التركمان - 10 آلاف من العرب، أما الإحصاء الدولي الذي نظمته عصبة الأمم في كركوك فيشير إلى النسب التالية: 63 في المائة من الأكراد - 19 في المائة من التركمان - 18 في المائة من العرب وآخر الإحصاءات النزيهة التي يمكن الركون إليها هو إحصاء 1957 الذي يشير إلى النسب السكانية في كركوك كما يلي: 48 في المائة من الأكراد - 28 في المائة من العرب - 21 في المائة من التركمان، وعندما يسعى الأكراد الآن (استنادا إلى كل هذه الحقائق التاريخية - الجغرافية - الديموغرافية التي تؤكد كردستانية كركوك وكل المناطق المعربة) إلى استرجاع كركوك وباقي المناطق الكردستانية المستقطعة من إقليم كردستان إبان العهد البعثي، يخرج علينا من يتهمهم بالتوسع والتكريد وبحسب

«منطق» هؤلاء يصح اتهام الفلسطينيين الآن بممارسة سياسة توسعية تعريبية ضد الاسرائيليين في غزة مثلا، فالتهويد في فلسطين هو تماما كالتعريب في كردستان هذا إذا لم نكن نمارس سياسة الكيل بمكيالين.

يقول الكاتب «اضطر الزعيمان الكرديان إلى الموافقة على أن العراق دولة عربية وتم إدخال تعديل ينص على أن العراق جزء من الأمة العربية». والواضح أن الكاتب قد أخذ يطلق العنان لخياله الواسع، فبات يختلق وقائع وتعديلات دستورية من عندياته، وحقيقة الأمر أن التعديل الذي أدخل على الفقرة الخاصة بهوية العراق هو كالتالي: «العراق بلد متعدد القوميات والأديان والمذاهب وهو جزء من العالم الإسلامي وعضو مؤسس وفعال في جامعة الدول العربية ويلتزم بميثاقها»، وليس كما يدعي الكاتب من أن التعديل ينص على أن العراق جزء من الأمة العربية، فالعراق ليس دولة عربية أحادية القومية، بل هو دولة ثنائية القومية تتكون من قوميتين رئيسيتين: العربية والكردية ومن إقليمين: إقليم

* منسق العلاقات الخارجية في حكومة إقليم كردستان العراق

المصـــــدر : الشرق الاوسط
التـــاريخ : 07-11-2005 العـــدد : 9841
الصفحـات : 12 المسلسل : 74

كردستان والإقليم العربي، وبالتالي فهوية العراق هوية تعددية مركبة وليست هوية عروبية أحادية بسيطة. يضيف الكاتب «ها هو الإعلام العربي يفتح صدره للساسة والمثقفين الاكراد الذين يحاولون تفجير نسيج المجتمع العربي الهش». فلماذا لا يعتبر الكاتب انفتاح الإعلام العربي على الأكراد بادرة ايجابية تسهم في تعزيز وتكريس مناخات الحوار والتواصل والتفاهم بين الشعبين العربي والكردي، وصولا إلى تجاوز الآثار الكارثية المدمرة التي أصابت علاقاتهما التاريخية جراء طروحات الأيديولوجيا القومجية العروبية وممارساتها المعروفة في حق الأكراد في العراق وسورية، فمحطات الإبادة البعثية للأكراد في حلبجة والأنفال والقامشلي ... غدت عناوين راسخة ومحفورة في ذاكرة الإنسانية ووجدانها.

ويضيف الكاتب أن الطالباني يطالب سورية «بوقف تسلل» الإرهابيين «إلى العراق متناسيا نحو مليون كردي» تسللوا «وتكاثروا في سورية في السنوات الخمسين الأخيرة، وباتوا يشكلون عبئا على استقرارها ووحدة ترابها». فالكاتب يصف الشعب الكردي في سورية (الذي يقارب تعداده الثلاثة ملايين نسمة أي حوالي 15 في المائة من عدد سكان سورية) بانه مجموعة من المتسللين الدخلاء، في حين أن الاكراد في سورية يعيشون في مناطق سكناهم الحالية في كردستان سورية قبل قيام الدولة السورية بالاف السنين، فكردستان كما هو معلوم قسمت إلى أربعة أجزاء بين تركيا وإيران والعراق وسورية، وهذه حقيقة بديهية كالشمس لن يحجبها غربال، ويمضي الكاتب قائلا «لا أدري إذا كان طالباني يستكرد العرب عندما يقول أن لا اعتراف عراقيا بإسرائيل ولا مصالحة إلا بعد الانسحاب وقيام الدولة الفلسطينية، غير أن إسرائيل موجودة في كردستان ويقال إن للموساد قاعدتين حدوديتين» في كردستان. فماذا يريد الكاتب أكثر من التزام العراق على لسان رئيسه السيد الطالباني بالمبادرة العربية للسلام التي كان قد أطلقها بداية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز؟ هل يريد من العراقيين عربا وأكرادا أن يكونوا فلسطينيين أكثر من الفلسطينيين أنفسهم، وأن يعلنوا الحرب الشاملة على إسرائيل بهدف رميها في البحر؟ أما ما يدعيه الكاتب عن وجود إسرائيل في كردستان فحقيقة الأمر أن إسرائيل موجودة بالفعل، لكن ليس في كردستان إنما هي موجودة جهارا نهارا في العديد من العواصم العربية من نواكشوط في اقصى المغرب العربي إلى القاهرة، والمثير للسخرية أن دليل الكاتب الدامغ على وجود إسرائيل والموساد في كردستان هو قوله: إن إسرائيل موجودة في كردستان ويقال (لاحظ كلمة يقال) ان للموساد قاعدتين فيها فيا له من دليل جامع مانع.

* كاتب كردي